الأبعاد الحجاجية لنظريّة النّظم عند عبد القاهر الجرجاني

أ.محمد يـزيد سالم
جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ــ الجزائر

الملخّص :

ما من شك في أنَّ الدِّراسات العربية القديمة تكتسي أهميَّة بالغة، و بخاصة نظريَّة الـنَّظم، هـذه الأهميَّـة لا تظهـر إلاَّ من خلال الوقوف على الأثر الذي أحدثته في الدراسات اللِّسانية الحديثـة، و لـذلك فـإنَّ أيَّـة محاولـة للوقـوف علـى أثـر نظريَّة النَّظم الجرجانيَّة لا تمرُّ إلاَّ عبر محاولة أكيدة لفهم كليهما ــ نظرية النظم و النظريات الحديثة ــ ثمَّ العمل على التقاط نقاط الالتقاء بينهما، لذلك جاءت هذه الدِّراسة لتبرز الأبعاد الحجاجيَّة ــ باعتبارها أحد مفرزات الـدرس اللِّسـاني الحديث ــ لنظرية النظم.

الكلمات المفتاحية: نظرية النظم ؛ الدّرس اللساني الحديث ؛ الجرجاني؛ الأبعاد الحجاجية؛ التراث اللغوي.

Abstract :

There is no doubt that the ancient Arabic studies are very important, especially the systems theory. This importance of this theory is shown its effects the in the modern linguistic studies. Therefore, any attempt to Stand on the effect of the systems theory can not be done Only through A real try to understand both the theory of systems and modern theories and then work to capture the points of convergence between them, so this study came to highlight the argumental dimensions as one of the Detachments of the modern linguistic lesson of the systems theory.

Key words : systems theory, modern linguistic lesson, al-Jurjani, argumental dimensions, Linguistic heritage.

تمهيد :

يوصف نظام المعرفة في التراث اللغوي العربي، بأنَّه نظام له خصوصيته فـي التَّفكيـر، بمـا يتناسـب مـع بيئتـه و مرجعيته و بقية مكونات الهوية لديه، و قد رسم ذلك النِّظام المعرفي العربي لنفسه مسارا في رؤيته لذاته و للمنتمين إليه، و حواره مع العالم، من خلال جملة من الأدوات التي هي من : « جملة الثَّوابت المحددة، و القيم الموجهة اللغويَّـة، و العقديَّة، والمعرفيَّة التي تختص بها الممارسة الإسلامية العربيـة »[1]. ومـن تلـك الأدوات المعرفيَّـة المهمَّـة فـي المدونـة العربية الثقافية "الحجاج " التي اعتني بها في تراثنا الفكري و الثقافي العربي، حيث كانت العملية الحجاجيـة تـدار بـين الفقهاء و المحدثين و الفلاسفة و الأصوليين و البلاغيين و النحويين و المفسرين، على مختلف مشاربهم و انتماءاتهم و توجهاتهم بكل وعي و رقي، على الوجه الذي أدى إلى تعميم المعرفة، والثقافة الحوارية لدى المتلقين في تلـك الحقبـة الزمنية، حيث لم تكن الممارسة الحجاجيّة بين صناع الخطـاب فـي التـراث العربـي«أداة للاشـتغال بالمنازعـة المقصـودة لذاتها،وإنَّما كانت وسيلة من وسائل تنمية المعرفة الصحيحة،وممارسة العقل السليم»[2].

1 ــ مفهوم الحجاج (Argumentation):

أ ـ لغة : جاء في لسان العرب لابن منظور(ت711هـ) قوله : « يقال : حاججته أحاجه حجاجا ومحاجَّـة حتَّـى حججتـه أي غلبته بالحجج التي أدليت بها [...] و الحجة : البرهان، و قيل الحجة ما دافع به الخصم، و قال الأزهري : الحجـة الوجـه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جدل، و التحاجّ: التَّخاصم، و جمع الحجة حجج و حجـاج، و حاجَّـه محاجة و حجاجا نازعه الحجة [...] واحتج بالشيء اتَّخذه حجة »[3].

ب ـ اصطلاحا : تكاثرت رؤى اللسانيين المعاصرين حول مفهوم " الحجاج "، فمن ذلك ما أشار إليه كل من " بيرلمان " و " تيتكاه"، حيث يتمثل الحجاج لديهما في « تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التَّسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»[4]. وواضح من هذا التعريف أنَّ قوة " الحجاج " عن الفكرة لدى المتكلم إنَّما تُستمد من نوع الحجة التي يستخدمها في الدفاع عن فكرته هذا من جهة، ومن جهة أخرى في طريقة انتظام هذه الحجة في الخطاب الحجاجي لدى المتكلم.

كما أنَّ من أبرز التعريفات للحجاج، التعريف الذي قدّمه " طه عبد الرحمن " حيث يقول : « و حدُّ الحجاج : أنَّه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي ؛ لأنَّ طابعه الفكري مقامي و اجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال، من معارف مشتركة، و مطالب إخبارية، و توجهات ظرفية، و يهدف إلى الاشتراك جماعيًّا في إنشاء معرفة علميَّة، إنشاءً موجها بقدر الحاجة، و هو أيضا جدلي ؛ لأنَّ هدفه إقناعي قائم بلوغه إلى التزام صور استدلالية أوسع و أغنى من البنيات البرهانية الضيقة»[5].

وعرفه في موضع آخر بأنَّه : « فعاليَّة استدلاليَّة خطابيَّة مبناها على عرض رأي أو الاعتراض عليه، و مرماها إقناع الغير بصواب الرأي المعروض، أو ببطلان الرأي المعترض عليه »[6]. و من ثمَّة فالحجة عنصر دلالي متضمن في القول يقدمه المتكلِّم على أنَّه يخدم أو يؤدِّي إلى عنصر آخر، و الذي يُصيِّرها حجة، أو يمنحها طبيعتها الحجاجية هو السِّياق، فما يمكن أن يكون حجة في هذا السِّياق، قد لا يكون كذلك في سياقٍ آخر، حتى لو تعلَّق الأمر بالمحتوى القضوي نفسه، أو بالحدث نفسه المعبَّر عنه داخل القول.

و قد تتحقق الحجة على شكل لفظة، أو قول، أو خطاب بأكمله، و لنتأمَّل هذا المثال :

ـ لقد وجدنا الآلة التي قُتلت بها الضحية عند زيد.

فهذا القول يتضمَّن حجة ووجود الآلة عند زيد حجة و دليل على أنَّه هو القاتل و يكفي أن يتلفظ المتكلم بهذه العبارة التي هي في الوقت ذاته حجة لغويَّة، و ليكون بذلك قد حدد وجهة الخطاب، و حدد المسار الذي ينبغي أن يسير الحوار فيه، بل و مسار البحث الذي يقوم بهر جال الشرطة، و إذا سلَّم المخاطَب أو المستمع بهذه الحجة، فهو ملزم بقبول النتيجة التي يمكن أن تستنتج منها، و معلوم أنَّ النتائج الممكنة أو المحتملة تتعدد بتعدد السِّياقات التي ترد فيها الحجة المقصودة[7].

و يستنتج ممَّا سبق أنَّ الحجاج بمعناه الاصطلاحي، يدلُّ على صنف معيَّن من العلاقات المودعة في الخطاب، و المدرجة في اللِّسان ضمن المحتويات الدلاليَّة.

2 ــ الفرق بين الحجاج و البرهان و الاستدلال :

أـ الحجاج و البرهان :

الخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيًّا بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدِّم براهين و أدلة منطقيَّة، و لا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي، فلفظة " الحجاج " لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح Valide لاستدلال ما من وجهة نظر منطقيَّة ، و يمكن التَّمثيل لكل من البرهان و الحجاج بما يلي :

ــ كل اللغويين علماء.

ــ زيد لغوي إذن زيد عالم.

ــ انخفظت درجة الحرارة.

ــ إذن سينزل المطر.

يتعلق الأمر في المثال الأول ببرهنة أو بقياس منطقي، أمَّا في المثال الثاني، فإنَّه لا يعدو أن يكون حجاجا أو استدلالا طبيعيا غير برهاني.

واستنتاج أنَّ زيدًا عالم، في المثال الأول حتمي وضروري، لأسباب منطقيَّة، أمَّا استنتاج احتمال نزول المطر في المثال الآخر فهو يقوم على معرفة العالم، و على معنى الشَّطر الأول من الجملة، وهو استنتاج احتمالي[8].

و عليه فإنَّه ينبغي التمييز بين البرهان باعتباره دليلا و حجة، وبين البرهان باعتباره طريقة في الاستدلال أكثر صرامة من الحجاج و البرهان كما يقول ابن سينا : « محدود الموضوع، محدود المسألة التي يبنيهاو ينصرها، محدود المبادئ التي منها يبين »[9]. فمتى " قصد بالحجة مجرد الاستدلال بها لإثبات الحق و بيان الحقيقة بغض النظر عن المتلقي فهذا هو البرهان... وإذا قصد بإيراد الحجة إقناع المتلقي و توجيه ذهنه و عمله فذلك هو الحجاج "[10].

صفوة القول إنَّ البرهان يجنح إلى اللزوم المنطقي في إطار اليقينيات، بينما يقوم الحجاج على منطلقات غير يقينية فمجاله الاحتمال، و يكون فيه « غالبا قسط من الشَّك، ممَّا يدفعنا دائما إلى البحث عن حجج من أجل تحقيق درجة أعلى من الإقناع »[11].

ب ـ الحجاج و الاستدلال :

إنَّ الأقوال التي يتكون منها استدلال ما مستقلة بعضها عن بعض، بحيث إنَّ كل قول منها يعبِّر عن قضيَّة ما، أي يصف حالة ما، أو وضعا ما من أوضاع العالم، باعتباره وضعا واقعيًّا أو متخيِّلا، و لهذا فإنَّ تسلسل الأقوال في الاستدلال ليس مؤسسًا على الأقوال نفسها، وكلنَّه مؤسس على نقوله بشأن العالم[12]. أمَّا الحجاج فهو مؤسس على بنية الأقوال اللغويَّة، وعلى تسلسلها، واشتغالها داخل الخطاب. ولتوضيح هذا نقدِّم المثال التَّالي :

ـ أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الرَّاحة.

إذا نظرنا في هذه الجملة سنجد أنَّها تتكون من حجة و نتيجة، و الحجة يتم تقديمها لتؤدي إلى نتيجة معيَّنة. التَّعب يستدعي الراحة، فالتَّعب دليل و حجة على أنَّ الشَّخص المعني بالأمر بحاجة إلى أن يرتاح.

إنَّ الحجة عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلِّم لصالح عنصر دلالي آخر، و الحجة قد ترد في الإطار على شكل قول، أو فقرة، أو نص، أو قد تكون مشهدا طبيعيًّا، أو سلوكا غير لفظي إلى غير ذلك. و الحجة تكون ظاهرة كما تكون مضمرة بحسب السِّياق، و الشيء نفسه بالنسبة إلى النتيجة والرَّابط الحجاجي الذي يربط بينهما.

و تجدر الإشارة إلى أنَّ العلاقة التي تربط بين الحجة و النتيجة هي التي تدعى " العلاقة الحجاجيَّة "، وهي تختلف بشكل جذري عن علاقة الاستلزام أو الاستنتاج المنطقي[13].

3 ــ منطلقات الحجاج :

حدد "بيرلمان " و " تيتكان " المنطلقات الحجاجيَّة في مقدمات الحجاج، و من هذه المنطلقات :

1ـ الوقائع (Les Faits) : و تمثل ما هو " مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس"[14]. فالوقائع لا تكون عرضة للدحض أو الشَّك وهي تشكل نقطة انطلاق ممكنة للحجاج. و بذلك فهي تصلح لتأسيس نقطة البداية في الحجاج، و الانشغال بهذا النوع من المنطلقات في البداية يمنح المتكلِّم شيئا من النجاعة في الخطاب. و تنقسم الوقائع بدورها إلى قسمين : وقائع مشاهدة و معاينة من جهة، ووقائع مفترضة من جهة أخرى[15].

2ـ الحقائق : تمثل الحقائق وقود الخطاب الحجاجي، و حين يلجأ أحد أطراف الحجاج إلى الحقائق، و يجعلها المنطلق في خطابه، و يربط بينها و بين الوقائع تتعلق بالنَّظريات العلميَّة و التصورات الفلسفيَّة و الدينية المتعالية عن التجربة، فإنَّما يلجأ إلى هذا بوصفه إجراءً عمليًّا تداوليا.

3ـ الافتراضات : هي أحكام قبليَّة أو آراء متصوَّرة سلفا، و تكون موضع موافقة عامة، إلاَّ أنَّ التجاوب معها لا يصل حدوده القصوى إلاَّ أنَّ التجاوب معها لا يصل حدوده القصوى إلاَّ إذا قواها المسار الحجاجي. كما أنَّها ليست ثابتة « بل هي متغيِّرة تبعا للوسط و المقام و المتكلم و السامعين، لأنَّها تقاس بالعادي...، والعادي مفهوم مجرَّد يجرد يختلف باختلاف القدرات و الإمكانات الفردية و الجماعية»[16].

4ـ القيم (Valeur): تتدخل القيم كأسس الحجاج في الميادين القضائية و السياسية و الفلسفية. وتستدعى القيم لدفع المستمع نحو اختيارات معينة أو لتبرير هذه الاختيارات.

و قد اعتبرها " بيرلمان " بمثابة قواعد حجاجية « نستند عليها لكي نحمل المخاطب على القيام بأفعال معينة بدل أخرى، كما أننا نستدعيها خصوصا من أجل تبرير تلك الأفعال بطريقة تجعل هذه الأفعال التي دعونا إليها مقبولة و

مؤيدة من طرف الآخرين... فبالقيم نستطيع تشكيل الحقيقة المطلوبة على الوجه الذي يريده المبدع (المحاجج)، هذا في الوقت الذي تظل فيه هذه القيم محافظة على نصاعتها بعد الاستخدام مما يجعلها صالحة للاستعمال في مقامات أخرى»[17]. و هي إمّا مجردة مثل الحق والعدل، أو محسوسة مثل الوطن و الكنيسة.

5ـ الهرميات : إنَّ هرمية القيم في البنية الحجاجية أهم من القيم نفسها. و إن كانت تسلم بها جماهير سامعين عدَّة فإنَّ درجة تسليمها بها تكون مختلفة من جمهور إلى آخر. و هو يعني أنَّ قيم درجات، وليست كلُّها في مرتبة واحدة. إنَّما يميِّز كل جمهور ليس القيم بها بقدر ما تميزه طريقة ترتيبه إياها[18] ولذلك فالترتيب استعمال حجاجي عملي للقيم.

6ـ المعاني أو المواضع : و يقصد بها المقدمات العامة التي يلجأ إليها المحاج لبناء القيم و ترتيبها. إنَّها مخازن الحجج و الأطر الناظمة لها.

وتنقسم المواضع إلى مواضع مشتركة أو مبتذلة يمكن تطبيقها على علوم مختلفة، مثل الفيزياء و القانون والسياسة كموضع الأكثر و الأقل. و مواضع خاصة تكون وقفا على علم بعينه، أو نوع خطابي بعينه لا يتعدَّه إلى غيره. كما أنَّ المواضع تحدد خصائص الأمم و الجماعات الفكريَّة و الأدبية و غير ذلك. ومن

أفضلية ما هو ثابت و باق موضع كلاسيكي تقابله أفضلية الأقل و الزائل و هو موضع رومنطيقي[19] والمواضع أنواع:

أـ مواضع الكم : و هي المواضع التي تثبت أنَّ شيئا ما أفضل من شيء آخر لأسباب كمية. من ذلك مثال أرسطو في المواضع ؛ و هو أنَّ المال الأوفر أفضل من المال الأقل وفرة، و المال الذي يصلح لقضاء حاجات كثيرة أفضل من المال الذي يصلح لقضاء حاجات أقل عددا، و أنَّ ما هو أبقى ما أبقى أفضل ممَّا هو أقلُّ بقاء.

و قولنا: " الكلُّ خير من الجزء " إنَّما يترجم بصيغة التفضيل المسلمة القائلة بأنَّ " الكل أكبر من الجزء". ومن هنا جاء تفضيل الديمقراطية لكونها رأي الأغلبية، و تفضيل الحقيقة لكونها تحظى بإجماع الآلهة (عند غير الموحدين)، و من ثمَّة إجماع الناس[20].

ب ـ مواضع الكيف : وتتعلق بالأهمية التي يكتسبها شيء أو فعل معيَّن مقارنة بأشياء و أفعال أخرى. و«تكمن خاصيتها الحجاجية في وحدتها الشكلية في مواجهة الجمع، مثل موضع " الحق " في ذاته الذي يباين كل ما عداه من الباطل»[21].

ج ـ مواضع الترتيب : وهي التي تقر أفضلية السابق على الاحق.

د ـ مواضع الموجود : وهي التي تقر بأفضلية الموجود الواقعي على الممكن و المحتمل و المستحيل[22].

هـ ـ مواضع الجوهر : وتتعلق « بما يجسد بشكل أفضل نوعا ما»[23].

وتعد هذه المقدمات الست، الشروط الأساسية لبناء المسار الحجاجي إلاَّ أنَّها غير كافية للمتكلم، فهي تمثِّل معطيات غزيرة و شاسعة تتطلب انتقاءً و تنظيما تكتسب بهما فعاليتها الحجاجية، و مناسبتها للمستمعين الذين يتوجه إليهم بالخطاب.

و إذا كانت االمنطلقات أو المقدمات تقدَّم في النَّصور البرهاني واضحة و أحاديَّة الدلالة، فهي تؤوَّل "من طرف الكل على نفس الشاكلة "[24]، فإنَّ المعطيات في الحجاج تبقى ملتبسة حاملة لدلالات مختلفة. ولذلك فالمتكلم ملزم، فضلا عن اختيار المقدمات، بتوجيه الحجاج نحو تأويل ينسجم مع مقصديته، و«إن كان الأمر في بعض الأحيان لا يتعلق من جهة المتكلِّم بتأويل بعينه بقدر ما يتعلَّق بإبراز مختلف وجوه اللبس الحافة بوضعية ما، و بإبراز مختلف الطرق التي يمكن أن تعالج بها تلك الوضعية ممَّا يجعل كلامه قابلا لتأويلات مختلفة»[25]. و تجدر الإشارة إلى أنَّ التكييف الحجاجي لا يرتبط فقط باستحضار المقدمات أو التوجيه التأويلي لها، بل يرتبط كذلك باستعمال النعوت و الصفات، فإسناد صفة لموضوع ما يكشف عن موقف ووجهة نظر إزاءه، فضلا على أنَّه يوجه نحو الحكم المطلوب.

4 ـ نظرية السلالم الحجاجيَّة و القوة الحجاجية :

تقوم نظرية السلالم الحجاجية على التدرج القائم بين الأقوال و الحجج في علاقتها بالنتائج، حيث إذا كانت مجموعة من الأقوال تمثل حججا تدعم نتيجة واحدة، فإنَّ هذه الحجج تتفاوت من حيث قوتها.

والسلم الحجاجي من مقتضيات النظرية اللسانية « إذ تتجلى فيه العلاقة المجازية بين الدعوى والحجة، لتصبح علاقة شبه منطقية إلى حد ما، تجسدها الأدوات اللُّغوية، فيتمثل صلب فعل الحجاج في تدافع الحجج و ترتيبها حسب قوَّتها، إذ لا يثبت غالبا إلاَّ الحجة التي تفرض ذاتها على أنَّها أقوى الحجج في السياق، و لذلك يرتب المرسل الحجج التي يرى أنَّها تتمتَّع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه و هذا الترتيب هو ما يسمَّى بالسلَّم الحجاجي»[26].

و تكمن أهميَّة نظرية السلالم الحجاجيَّة أساسا في إخراج قيمة القول الحجاجي من حيِّز المحتوى الخبري للقول و هذا يعني أنَّ القيمة الحجاجية لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب لأنَّها لا تخضع لشروط الصدق المنطقي، فهي ليست قيمة مضافة إلى البنية اللغوية بل مسجَّلة فيها[27].

و السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي :

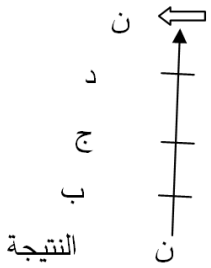

" ب " و " ج " و " د " حجج و أدلة تخدم النتيجة " ن ".

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معيَّنة، فإنَّ هذه الحجج تنتمي إلى السلم الحجاجي نفسه، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجيَّة موجهة. و يتسم السلم الحجاجي بالسمتين التاليتين :

أ ـ كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة لـ "ن ".

ب ــ إذا كان القول " ب " يؤدي إلى النتيجة " ن "، فهذا يستلزم أنَّ " ج " أو " د " الذي يعلوه بدرجة يؤدي إليها، و العكس غير صحيح، فإذا أخذنا الأقوال التالية :

ق1: حصل زيد على الشهادة الابتدائية.

ق2: حصل زيد على الشهادة الثانوية.

ق3: حصل زيد على شهادة الإجازة.

فهذه الجمل تتضمن حججا تنتمي إلى الفئة الحجاجية نفسها، و تنتمي كذلك إلى السلم الحجاجي نفسه، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة، من قبيل" كفاءة زيد " أو " مكانته العلمية ". و لكن القول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السلم الحجاجي و حصول زيد على الدكتوراه هو أقوى دليل على مقدرة زيد، و على مكانته العلمية. و يمكن الترميز لهذا السلم كما يلي[28]:

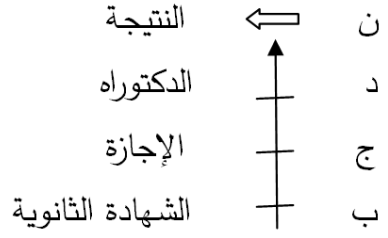

هذه العلاقة الترتيبية للحجج تشكل سلما حجاجيا، يقول" ديكرو " : « إنَّ أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية لحجج نسميه سلما حجاجيًّا»[29] (29).

و قد عرف " طه عبد الرحمن " السلم الحجاجي بأنَّه : « مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية و مستوفية للشرطين التَّاليين :

أ ـ أنَّ كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

ب ـ و أنَّ كل قول في السلم كان دليلا على مدلول معيَّن، و كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى »[30].

وارتباطا بمفهوم السلم الحجاجي يبرز مفهوم آخر هو مفهوم الاتجاه الحجاجي، و مداره أنَّ الخطاب يكون مشتملا على بعض الروابط و العوامل الحجاجية المتضمنة لمجموعة من الإشارات و التعليمات الموجهة للخطاب.

5 ــ خصائص الحجاج :

تتسم الحجج اللغوية بعدة سمات، نذكر بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر :

1ـ سياقية : العنصر الدلالي الذي يقدمه المتكلم باعتباره يؤدي إلى عنصر آخر، فإنَّ السياق يصيره حجة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية، ثم إنَّ العبارة الواحدة، قد تكون حجة أو نتيجة، أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق.

2ـ نسبية: لكل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، و يقدم خصمه حجة مضادة أقوى بكثير منها، و بعبارة أخرى هناك الحجج القوية و الحجج الضعيفة و الحجج الأوهى والأضعف.

3 ـ قابل للإبطال : الحجاج اللغوي نسبي، و مرن، و تدريجي، و سياقي بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق و حتمي[31].

6 ــ أهداف الحجاج :

يتمثل هدف الحجاج في التأثير في الجمهور(المستمعين)، و المعيار الأول الذي نقيس به خطابا ما هو نجاعته، بيد أنَّه ليس معيارا كافيا ؛ لأنَّنا لا يمكن أن نهمل نوعية الجمهور الذي يتوجه إليه الخطاب. إنَّنا نستطيع التمييز بين خطابات رجل السياسة و المحامي، و العالم، و المتكلم (نسبة إلى علم الكلام)، و الفيلسوف، لا فقط بمواضيعها، بل نميِّزها أيضا و خاصة بالجمهور الذي تتوجه إليه تلك الخطابات. و في الواقع، فإنَّ نجاعة الحجاج تكون بحسب ملاءمته للجمهور، و بحسب التقنيات المستعملة فلإقناع سامع مخصوص تستعمل آليات لا تصلح لإقناع الجمهور،و يتسم الحجاج العقلاني بكونه قادرا على إقناع الجمهور، فمن الأساسي إذن أن نعرف الأطروحات التي يسلم المستمع بها، كما يجدر بنا معرفة درجة القوة التي بها يعتنق الأطروحات، و ذلك من أجل اختيار تلك التي تساعد الحجاج، و يمكن اتخاذها نقطة ارتكاز، من خلال عرضها من حيث كونها مسلمات[32].

7 ــ نظرية النظم و أبعادها الحجاجية :

شغلت قضية اللفظ و المعنى النقاد و البلاغيين العرب منذ عهد مبكر و انقسموا فيها إلى طوائف متعددة، فمنهم من اهتم بالمعنى و أغفل شأن اللفظ، و منهم من اهتم باللفظ، و منهم من ساوى بين اللفظ و المعنى، و منهم من نظر إلى الألفاظ من جهة دلالتها عل معانيها في نظم الكلام.

فحاول النقاد و البلاغيون، منذ قال الجاحظ :« المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي و العربي والقروي و البدوي، و إنَّما الشأن في إقامة الوزن و تخيُّر اللفظ و سهولة المخرج و صحة الطبع و كثرة الماء وجودة السَّبك»[33] ، الإجابة عن أسئلة من قبيل : هل جاذبية الكلمات و جمال العبارات كامنة في اللفظ أم في المعنى؟ فإن كانت في اللفظ هل في اشتقاقه أم في مخارجه أم في مناسبة هذا لذاك ؟ ثم هل ثمَّة شيء يدعى لفظا بلا معنى؟ و ما هو اللفظ إذا لم يكن ذا معنى ؟ أم أنَّهما وحدة متكاملة يصعب الفصل بينهما فهما روح وجسد لا يحيا أحدهما بدون الآخر ؟... و بتعدد الأسئلة تعددت الإجابات : فمن منتصر للفظ، و من منتصر للمعنى، ومن موفق بينهما...حتى القرن الخامس الهجري إذ سيقدم "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) " نظرية النَّظم " و التي احتوت بشكل كبير هذا النقاش حول اللفظ والمعنى، فماذا يقصد "عبد القاهر الجرجاني" بالنَّظم ؟ و ما أبعاده الحجاجية ؟.

بلغ اهتمام الدارسين قديما و حديثا بقضية " النَّظم " درجة كبيرة، و أولوها مكانة متميزة في صناعة القول، وجعلوا لها علما خاصا في الدراسات اللُّغوية و البلاغية أسموه " علم المعاني " و هو العلم الذي « ليس شيئا إلاَّ توخي

معاني النَّحو ووجوهه و فروقه بين معاني الكلم»[34]، و من خلال ذلك يتبن أنَّه «إذا رفع معاني النَّحو و أحكامه ممَّا بين الكلم حتى لا تراد فيها في جملة و لا تفصيل، خرجت الكلم المنطوق ببعضها في إثر بعض...عن أن يكون لكونها في مواضعها التي وضعت فيها موجب و مقتض »[35]، إذ إنَّ أوَّل ما فعله الجرجاني هو توضيح مفهوم النظم توضيحا دقيقا، فجعل اهتمامه منصبا على النظم في سياق العلاقات النَّحوية في ضوء الدلالة، و توخى في دراسته وظيفة تطبيقية بُنيت على النُّصوص، و يظهر مدى تقدُّم المقاربة العربية للتركيب اللِّساني أو " النظم " الذي يعد مكوِّنا جوهريا في تحليل القول، يتشكل من خلال أربعة أبعاد أساسية تؤدي وظائف مختلفة لكنَّها متناغمة نظما وهي :

أ ــ الإتساق التَّركيبي : و يقصد به الإحكام الداخلي للغة عن طريق قواعد النَّحو التي تقوم بإيضاح الفروق بين معاني الكلم.

ب ــ التَّناسق الدَّلالي : و يتمثل في صلابة المعنى الإجمالي، انطلاقا من معاني الكلمات المتجاورة معجميًّا (منتمية إلى نفس الحقل المعجمي).

ج ــ التَّلاؤم التداولي : بأن يقتضيها موجب و مقتضى، أي أنَّ المقتضيات المقاميَّة تكون حاضرة في النظم، حيث تلعب دور الملاءمة بين السِّياق الداخلي اللغُّوي و المقام الخارجي.

د ــ الأثر الحجاجي : يقوم النظم بتحريك انفعال المخاطب أو استمالته أو الدفع به نحو قبول فكرة معينة (الإقناع).

إنَّ هذه العناصر التي اعتمدها القدامى في تحليلهم للقول انطلاقا من علم التركيب. كانت تسير وفق تصوُّرات تحكمها خلفيات منهجية و دواع قولية يصعب تناولها ككل لا يتجزَّأ، إذ لا يمكن إعادة إنتاج القول بنفس الطريقة، و ذلك لتغيُّر الظروف و تحول المفاهيم اللِّسانية التي تعدُّ دعامة كل قول عربي.

وقد بلغ اهتمام عبد القاهر الجرجاني في " دلائل الإعجاز " بعلم المعاني حدًّا لم تبلغه الدِّراسات اللِّسانية والبلاغية قبله و لا بعده، و كانت نظرية النَّظم أساسا جوهريا في تحليل القول، حيث ارتكزت على البعدين السياقي و التداولي، انطلاقا من دراسة تركيبية محكومة بقواعد النَّحو الداخلي للغة، ومتفتحة على الفصاحة والمجاز، و هذه الازدواجية في النَّظم هي التي جعلت الدِّراسات النَّحوية تخرج من نطاق المقولات و النماذج وقواعد الإعراب داخل الجملة، إلى المعاني السياقية التي تنتجها الأشكال التركيبية المختلفة.

وعليه فقد عدل عبد القاهر الجرجاني مادة " الأسرار " في الدلائل " و ربطها بمقتضيات النَّظم النَّحوي وجعلها تابعة له، فلم تعد القيمة موجودة في اتجاه الغرابة بل في اتجاه مناسبة الكلام للمقاصد[36]، فقرر أنَّه لا معنى لعبارات البلاغة و الفصاحة و البيان و البراعة سوى « وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة ثمَّ تبرُّجها في صورة هي أبهى وأزين و آنق وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النَّفس، و تنال الحظ الأوفر من ميل القلوب، و أولى بأن تطلق لسان الحامد، و تطيل رغم الحاسد، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، وتختار له اللَّفظ الذي هو أخصُّ به و أكشف عنه، و أتمَّ له، و أحرى بأن يكتسيه نبلا، و يظهر فيه مزية»[37].

و هكذا فلا قيمة لأي لفظ متجرد من مهمته داخل السِّياق إلاَّ في كونه لفظا قاموسيا، كما أنَّ المعاني تتوه في المخيِّلة ما لم تعتصم باللَّفظ الدَّال عليها المحصِّنة لدلالتها،« أمَّا التَّركيب البياني للألفاظ... فذلك ما يربط العلاقة بين الاسم و الفعل و الحرف على نحوٍ مقصود يؤدي إلى دلالة، و لكنَّه لا يكفي في توفير الجمال والمتعة الفنية إلاَّ إذا احتيط له بضرب من الانتقاء في سبك عملية الرَّبط بين أركان الكلام»[38]، و هذا هو الأساس الذي تقوم عليه نظرية النَّظم، يقول عبد القاهر الجرجاني:« وهل تجد أحدا يقول : هذه اللفظة فصيحة، إلاَّ و هو يعتبر مكانها من النَّظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها ؟ وهل قالوا: لفظة متمكِّنة، و مقبولة، و في خلافه قلقة : ونابية ومستكرهة، إلاَّ وغرضهم أن يعبروا بالتَّمكن عن حسن الاتفاق بين هذه و تلك من جهة معناها، والقلق والتنبؤ عن سوء التَّلاؤم، وأنَّ الأُولى لم تلق بالثانية في معناها، وأنَّ السابقة لم تصلح أن تكون وفق التَّالية في مؤداها؟»[39]، و قد مثَّل عبد القاهر لذلك بلفظة " الأخدع " التي أوردها البحتري فحسنت و خفَّت و ذلك في قوله :

و إنِّي و إنْ بَلَّغتْني شَرَفَ الغِنى وَ اعْتَقت من رِق المَطَامِعِ أخْدَعي[40].

وأوردها أبو تمام فثقلت و استكرهت و ذلك في قوله :

يَا دَهرُ قَومِ من أخْدَعَيك فَقَد أضْجَجْتَ هَذا الأنامَ من خَرقِكَ[41]

ثمَّ علَّق على ذلك بقوله:« فلو كانت الكلمة إذا حسنت من حيث هي لفظ، و إذا استحقت المزيَّة والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حالٌ لها مع أخواتها المجاورة في النَّظم، لما اختلف بها الحال، و لكانت إمَّا أن تحسن أبدا، أو لا تحسن أبدا»[42]، و بهذا المعنى الصريح يصبح النَّص« في الواقع هو تأليف الألفاظ، والأولوية في الحقيقة لا تعود إلى اللفظ بل إلى التآليف والتَّركيب، و بعبارة أخرى نقول إنَّ النَّص هو بنية تركيبية تنظيمية كبرى ذات وظائف أدبية وتداولية، والجملة، لا اللفظ هي البنية التركيبية التنظيمية السفلى التي تؤلِّف البنية الكبرى أي النَّص»[43].

و قد جعل عبد القاهر الجرجاني تعريف" النظم " مقترنا بالنَّحو، إذ أنَّ للنَّحو نظامه الخاص الذي يشكِّل منطلقا داخليا للغة العربية، و البلاغة أو " نظم الكلام " ليس إلاَّ التزاما بمقتضيات هذا المنطق وانطباقا لسمته، و معلومٌ أنَّ النَّظم « أساس البلاغة المقامية، أي بلاغة النجاعة التواصلية»[44].

وجدير بالإشارة أنَّ الدِّراسات الحجاجية المعاصرة تركِّز على علاقة البلاغة بالنَّحو، ولعَلَّ أبحاث " أوزفالديكرو " حول العوامل و الروابط الحجاجية تشكل أفضل نموذج دال على ذلك.

والنَّظم عند عبد القاهر الجرجاني هو تعليق الكلم بعضه ببعض، وجعل بعضه سبب من بعض يقول: «اعلم أنَّ ليس النّظم إلاَّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النَّحو، و تعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، و تحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها»[45].

يكاد هذا النَّص يوجز نظرية النَّظم الجرجانية، فقد جاء بيانا لعلاقة الفكر باللغة موضِّحا أثر المعاني النَّحوية في الآداء الدّلالي، ويكشف نص الجرجاني أنَّ مدار المفاضلة تناسق الدلالات على وجهٍ مخصوص، وبذلك تؤسس هذه النَّظرة على تكامل عناصر العمل الفني تحقيقا للاختيار، والموقعية، و الإسناد، والتعليق، و إدركا لمعاني النَّحو وأحكامه، فأساس النَّظم مجموعة العلاقات التي تحقق استخدام الكلمة في سياقها المناسب، و لعلَّ أول ما ينبغي أن يلفت نظر الباحث في هذا النَّص هو عناصر هذه النَّظرية بالنَّظر إلى علم اللِّسان الحديث، فقد تسنى للألسنية أن تفسِّر جوانب أساسية في هذه النظرية، يقول " تمام حسان" في تعريف النَّظم:« و النَّظم كما فهمه عبد القاهر هو نظم المعاني النَّحوية في نفس المتكلم لا بناء الكلمات في صورة جملة»[46].

تضمن هذا الرأي التفاتة إلى صورة من صور النَّظم عند الجرجاني، و لكنَّه انتهى إلى حكم لا يتفق مع نظرة الجرجاني الذي يقول : « لا نظم في الكلم و لا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض و تجعل هذه بسبب من تلك»[47].

إنَّ عبد القاهر المؤمن بنظرية النظم القائمة على حسن الصياغة و توخي معاني النَّحو، ينظر إلى ما ينشأ بين اللفظ و المعنى من علاقات لغوية دقيقة نتيجة التحامها و شدَّة ارتباطها. فقد نظر إلى كليهما ـــ اللفظ والمعنى ـــ نظرة المتفحِص و الخبير العارف بمقادير الكلام، و عرف دور اللَّفظ و قيمته في النَّظم، وعرف طريقة تصوير المعاني على حقيقتها، ثمّ جمع بين اللفظ و المعنى و سوَّى بين خصائصهما، ورأى أنَّ اللفظ جسدا والمعنى روحا يعتمد على حسن الصياغة و دقة التصوير التي نضجت في بحوثه، وبذلك قضى على فكرة الفصل بين اللفظ و المعنى التي شغلت فكر بعض النقاد و البلاغيين قبل عصره، تحدث عن اللَّفظ و مكانته داخل النَّظم ليوضِّح دقائق النَّظم وأسراره، ثمَّ تحدث عن المعاني و كيفية إيراد الألفاظ و الرَّبط بينها و حسن نظمها بحيث تقوم بأداء وظائفها، و بذلك برزت نظريته و قيمتها العلميَّة في مجال الفكر اللُّغوي عند العرب.

و هكذا لفتت " نظرية النَّظم " عند الجرجاني « الانتباه إلى نحو النَّص بمعنى منطقه اللُّغوي الداخلي الذي من دونه لا يمكن للخطاب أن يؤدي وظائفه الحجاجية الإقناعية»[48]. فكشفت بذلك « عن الطابع الاستدلالي للأساليب البيانية البلاغية، و أقامت مطابقة شبه تامَّة بين نظام الخطاب و نظام الفعل»[49].

لقد أرجع عبد القاهر الأثر الانفعالي و الجمالي الذي يثيره النَّص في نفس المتلقي« إلى توخي معاني النَّحو وإلى الوجوه و الفروق التي من شأنها أن تكون فيها و التي لا نهاية لها»[50]، وهو أثر «يتفجَّر أولا في النَّفس... ليفيض على النَّاس نظما يكون على قدر تسلسل نبعه في نفس المبدع مفضيا بالدَّهشة واللَّذة في نفس المتلقي»[51]، فيؤدِّي النَّص وظيفة تأثيرية انفعالية وحجاجية، و يؤدِّي التَّركيب بالإضافة إلى أبعاده الفنية أبعاد عقلية و تداولية تأثيرية[52]، فهو مبدأ عقلي و فكري إذ « ليس لك حيث تسمع بأُذنك، بل حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك، و تعمل رويتك، وتراجع عقلك، و تستنجد في الجملة فهمك»[53] ، وهو مبدأ تداولي وظيفي « يفرض الأخذ بعين الاعتبار معنى التَّركيب وموقعه داخل النَّص و الغرض الذي من أجله وُضع»[54]، وهذا مبدأ نفسي تأثيري لأنَّ « إذا رأيتها راقتك و كثرت عندك،

ووجدت لها اهتزازا، فعد فانظر في السبب و استقص في النَّظر، فإنَّك تعلم ضرورة أنَّ ليس إلاَّ أنَّه قدم و أخر، وعرف ونكر، وحذف و أضمر، وأعاد و كرر»[55].

و قد رهن عبد القاهر الجرجاني نجاعة الخطاب « بملاءمة صورته أو صوره التَّركيبية للغرض الذي من أجله تمَّ إنتاج الخطاب و مراعاة المقام تعني أنَّ الدلالة على المقاصد و الأغراض تقتضي استعمال ما يلائمها من أشكال التَّركيب و صوره»[56]، فمراعاة الغرض و القصد و المقام تقتضي الرَّبط بين الجانب التَّركيبية و الدَّلالية والتداولية إذ «لا يكون ترتيب شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة... وإن كان كذلك فينبغي أن ينظر إلى الذي يقصد واضع الكلام وأن يحصل من الصورة والصنعة »[57].

وعليه فإنَّ التَّركيب البليغ عند عبد القاهر الجرجاني « هو الذي يستطيع أن يوازن بين مختلف وظائفه الدلالية والشعرية و التداولية، و أن يخلق بينهما ما يكفي من الاندماج و التفاعل اللَّذين يمنحان تركيب النَّص شكلا خاصا واشتغالا متميِّزا»[58]. ومن ثمَّة حاول « التَّصوُّر التداولي المقصدي في الدلائل... استيعاب المادة الانزياحية و تهذيبها بجعلها مشروطة بالنَّظم و تابعة له»[59].

صفوة القول، إنَّ القارئ المتمعن و المتدبر في" نظرية النَّظم " لعبد القاهر الجرجاني، لن يسعه إلاَّ أن يتساءل مع شوقي ضيف : « أي عقل هذا الذي يكتب بتلك المقدرة على توليد الأفكار من جهة والإدلاء بكل ما يمكن من حجج وبراهين من جهة أخرى»[60]. حتى انطبعت مجهوداته بطابع نفعي يمكن أن يعدَّ، بدون مبالغة من أكمل المحاولات في التراث العربي لتأسيس ما يسمَّى بنفعية الخطاب.

الهوامش:

1 - ـــ طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، (د،ت)، ص 75.

2 - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م

3 - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين)، لسان العرب، عناية و تصحيح : أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ج3، مادة (حجج)، 532.

4 - عبد اللّه الصولة، في نظريات الحجاج، دراسات و تطبيقات، دار الجنوب للنشر و التوزيع، تونس، ط1، 2011م، ص 13.

5 - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام،ص 65.

6 - المرجع نفسه، ص 66.

7 - ـــ ينظر : أبو بكر العزاوي،اللغة و الحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 1426هـ / 2006 م، ص 127، 128.

8 - المرجع نفسه، ص15،14.

9 - ابن سينا، الفاء، تحقيق : فؤاد أحمد الأهواني، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (د، ط)، 1965م، ج6، ص 192.

10 - عبد السلام آيت إبراهيم،الحجاج في الرسائل الموحديَّة من الدعوة إلى الدولة، أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية اللغة العربية، مراكش، 2008م / 2009م، ص 25.

11 - محمد الرويض، حول مفهوم الحجاج و الفلسفة، مجلة فكر و نقد، الرباط، العدد 26، السنة الثالثة، 2000م، ص39.

12 - ينظر: صابر الحباشة، التداولية و الحجاج مداخل و نصوص، صفحات للدراسات و النشر، دمشق، (د، ط)، 2008 م، ص 27، 28.

13 - ينظر : قدور عمران، البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب و اللغات جامعة الجزائر، 2008 م / 2009م، ص 38، 39.

14 - Ibid p -8ـــ

15 - ينظر: عبد اللّه صولة، في نظريات الحجاج، دراسات و تطبيقات، مسكيلياني للنشر و التوزيع، تونس، ط1، 2011م، ص24.

16 - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، 2008م، ص112.

17 -. Ch .perelman ،Tait de largumentation _ La nouvelle rhetorique ، P99

18 - عبد اللّه صولة، في نظريات الحجاج، دراسات و تطبيقات، ص26.

19 - عبد اللّه الصولة، الحجاج، أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال " مصنف في الحجاج ـ الخطابة الجديدة ـ لبرلمان و تيتيكان، ضمن فريق البحث في البلاغة و الحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، جامعة و الفنون و العلوم الإنسانية، تونس ، ص311.

20 - ينظر: عبد اللّه صولة، في نظريات الحجاج، دراسات و تطبيقات،ص27، 28.

21 - سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة،ص113.

22 Ibid p 125-

23 Ibid p 126-___

24 Ibid p 161-

25 - عبد اللّه الصولة، الحجاج، أطره و منطلقاته و تقنياته، ص315.

26 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص 499 ـ 500.

27 - شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن فريق البحث في البلاغة و الحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف : حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، جامعة و الفنون و العلوم الإنسانية، تونس 1، ص370.

28 - أبو بكر العزاوي،اللغة و الحجاج،ص21،20.

29 -Didier ، 1980 Les editions de minuit ، Paris ، argumentatives ، Les echelle ، ، 1976 Juin 15،

30 - عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام،ص 104، 105.

31 - أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج،ص19، 20.

32 - ينظر : صابر الحباشة، التداولية و الحجاج مداخل و نصوص،ص70، 71.

33 - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان و التبيين، تحقيق و شرح : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط7، 1418هـ / 1988م، ج1، ص 129.

34 - عبد القاهر (أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النّحوي)، دلائل الإعجاز، قرأه و علّق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ص 525.

35 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

36 - ـ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها و امتدادها، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1990م، ص 353.

37 - عبد القاهر، دلائل الإعجاز،ص 43.

38 - جعفر الكتاني، من قضايا النقد الأدبي القديم، المحاضرات الجامعية، الكتاب الأول،، مطبعة فضالة المحمدية، ط1، 2002 م، ص 68.

39 - دلائل الإعجاز، ص 44ـ 45.

40 - ديوان البحتري، عني بتحقيقه و شرحه و التعليق عليه : حسن كامل الصّيرفي، دار المعارف،القاهرة، ط3،(د، ت)، مج 2، ص 1241.

41 - ديوان أبي تمام، تحقيق :محمد عبده عزّام، دار المعارف، القاهرة، ط4، (د. ت)، مج 2، ص 405.

42 - دلائل الإعجاز، ص48.

43 - حسن المودن، الخطاب الإقناعي، بحث جامعي أنجزه الباحث بكلية الآداب و العلوم الإنسانية بمراكش لنيل درجة الدكتوراه، 2005 /2006م، ص 172.

44 - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها و امتدادها،ص 485.

45 - دلائل الإعجاز، ص118.

46 - تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979م، ص187.

47 - دلائل الإعجاز، ص118.

48 - حسن المودن، الخطاب الإقناعي، ص191.

49 - محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، دار الطليعة، بيروت، ط4، 1989م، ص77.

50 - أحمد بن عبد اللّه الفيفي، الإثارة ـ البنية ـ الأثر، قراءة في " دلائل الإعجاز " في ضوء النقد الحديث، مجلة جذور، مج2، ع4، سبتمبر، 2000م، ص23.

51 - المرجع نفسه، ص 25.

52 - ينظر : حسن المودن، الخطاب الإقناعي، ص201،200.

53 - دلائل الإعجاز، ص104.

54 - حسن المودن، الخطاب الإقناعي، ص200.

55 - دلائل الإعجاز، ص119ـ 120.

56 - حسن المودن، الخطاب الإقناعي،ص 294.

57 - دلائل الإعجاز، ص337.

58 - حسن المودن، الخطاب الإقناعي، ص 201.

59 - العمري، البلاغة العربية أصولها و امتدادها،ص 354،353.

60 - شوقي ضيف، الفن و مذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط6، 1971م، ص 176.